



**Asinag**

17 | 2022

Economie et culture en milieux amazighes

تقديم

Comité d'asinag



**Édition électronique**

URL : <https://journals.openedition.org/asinag/2513>

**Éditeur**

Institut Royal de la Culture Amazighe (IRCAM)

**Édition imprimée**

Date de publication : 1 décembre 2022

Pagination : VII-XII

ISSN : 2028-5663

**Référence électronique**

Comité d'asinag, «تقديم», *Asinag* تاريخ الاطلاع, février 2024 01 [على الإنترنت], 17 | 2022, نشر في الإنترنت, URL: <http://journals.openedition.org/asinag/2513>



The text only may be used under licence CC BY-NC-ND 4.0. All other elements (illustrations, imported files) are "All rights reserved", unless otherwise stated.

## تقديم

بصم الأمازيغ التاريخ الاقتصادي لشمال إفريقيا بصورة واضحة، ولنا في "الدار التجارية لإيلينغ" بتازروالت التي هيمنت على جزء من المحور الغربي للتجارة العابرة للصحراء، وكذا تجار غدامس بليبيا الذين لعبوا دوراً هاماً على مستوى المحور الشرقي<sup>1</sup>مثالان من بين أمثلة كثيرة. وقد نال هذا النشاط الاقتصادي نصيباً وافراً من التوثيق كماً وكيفاً بفضل المصادر الأوروبية التي ألفتها أمثال: إدوارد ويليام بوفيل (Edward William Bovill)<sup>2</sup> أو جان لوي ميبج (Jean-Louis Miège)<sup>3</sup>. وفيما يتعلق بالمحور الغربي لهذه التجارة تحديداً، فإن عمل المختار السوسي<sup>4</sup> أو بُول باسكون<sup>5</sup> قد استثمرا المصادر المحلية، مما ساعد على تفسير التحديات التي تطرحها التغيرات التي مسّت السلطة السياسية والاقتصادية لدار تجارية أمازيغية في جنوب المغرب.

أحدثت الصدمة الاستعمارية تحولات عميقة في البنيات الاجتماعية والاقتصادية للمنطقة. فقد بدأ الوجود الاستعماري في شمال إفريقيا مسلسلاً جُرِّدت بموجبه مؤسسات المجتمع الاقتصادي الأمازيغي، على المدى الطويل، من العديد من صلاحياتها. وقد أثار ذلك في البداية تساؤلات حول القواعد الجماعية، وهو ما أدى إلى خلق مناخ انعدام فيه الأمن سواء بالنسبة للتجارة العابرة للصحراء أو للمبادلات التجارية داخل الأسواق وفي المواسم الكبرى. ثم قامت الإدارة الاستعمارية بعد ذلك بتبني هندسة لوجيستية ومجالية مكنتها من إعادة تنظيم التجارة من خلال تعبئة شبكات الموانئ والسكك الحديدية والمسالك البرية التي تضمن تدفق البضائع الأوروبية، وإدراج المناطق الداخلية في إفريقيا الشمالية في علاقات التبعية والخضوع

<sup>1</sup> Miège J-L. (1981), « Le commerce transsaharien au XIXe siècle », *Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée*, 32, p. 93-119.

<sup>2</sup> Bovill E. W. (1958), *The Golden Trade of the Moors*, London, Oxford University Press.

<sup>3</sup> Miège J-L. (1962), *Le Maroc et l'Europe 1830-1894*, Paris, P.U.F.

<sup>4</sup> السوسي، محمد المختار (1966) إيلينغ قديماً وحديثاً، الرباط، مطبوعات القصر الملكي.

<sup>5</sup> Pascon P. (1984), *La maison d'Iligh et l'histoire sociale du Tazerwalt*, Rabat, SMER.

السياسي والاقتصادي للمستعمرات الحضرية التي طورتها في منطقة الساحل. والمفارقة أن نحو بعض المدن الكبرى أدى إلى ظهور تجمعات حضرية ناطقة بالأمازيغية، مثل السوسيين في الدار البيضاء (Waterbury 1972, 2020) أو الجريين في تونس، الذين لا يزالون يقومون بدور اقتصادي رائد إلى اليوم.

تدرج في ملف هذا العدد ثلاثة مقالات ركزت على الاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية التي نتجت عن الاستعمار. اهتم المقال الأول، لمبارك ونعيم، وعنوانه: "قبيلة لخصاص والنقيب ميكيل 1945-1952، تطور اجتماعي واقتصادي في مسيرة قسرية"<sup>6</sup>، بموضوع تنفيذ مشاريع اجتماعية واقتصادية في أراضي قبائل منطقة بويكارن خلال ولاية النقيب ميكيل بين عامي 1945 و 1952.

أما المقال الثاني<sup>7</sup>، فتناول فيه محمد أوبنعل تأسيس الزراعة التصديرية في منطقة سوس، والتحول الاجتماعي والاقتصادي التي نجمت عنها في المنطقة، فكشف آليات مصادرة أراض واسعة ودور الفاعلين الوسطاء مثل الحسين الدمناقي في عمليات الاستصلاح وتركيب المضخات. وقد أدى هذا الوضع ليس فقط إلى زحزحة الأنظمة الجماعية للإنتاج الفلاحي داخل التجمعات القروية، التي تمتح من ثقافة أمازيغية عمّرت آلاف السنين، بل إلى تقليل منسوب المياه الجوفية في منطقة سوس بشكل كبير.

ودرست حورية عبد النبي أولعربي في المقال الثالث الذي يحمل عنوان: "البيع بالتجوال والعيادات والاستعمار في الجزائر"<sup>8</sup>، الاضطرابات التي نتجت عن الاستعمار الفرنسي بخصوص مهارات وخبرات الباعة المتجولين المنتمين إلى قبيلة آيت بودرار في منطقة القبائل الجزائرية.

وفي مقال "الإنتاج الزراعي بمنطقة زمور. نشاط اقتصادي يفقد بعده العقائدي"<sup>9</sup>، يؤكد حمو بلغازي ضعف الالتزام بممارسة الطقوس الدينية المتعلقة بالإنتاج الزراعي في منطقة زمور، وخاصة إخراج الزكاة والأعشار...، مفسرا هذا التراجع الكبير بعاملين اثنين، أولهما خارجي يكمن في دخول وتطور أفكار جديدة هدفها التشكيك في طاعة رجال الدين. وثانيهما داخلي

---

<sup>6</sup> Tribu Lakhsas et le capitaine Miquel 1945-1952. Un développement socio-économique à marche forcée.

<sup>7</sup> Agriculture d'exportation et transformations socio-économiques dans le Sous.

<sup>8</sup> Colportage, habitus et colonisation en Algérie.

<sup>9</sup> La production culturelle des Zemmour. Une activité économique libérée de l'offrande culturelle.

يتجلى في رد فعل السكان القرويين ضد إساءات البعض ممن يدعون أنهم من سلالة النبي أو ينحدرون من أحد الأولياء الصالحين.

وبعد الاستقلال، تزايد تدخل إدارة مركزية وبيروقراطية في التجمعات الأمازيغية مجرّدة إياها من استقلاليتها السياسية والاقتصادية. وقد عانت هذه التجمعات، حسب البلد والظروف، من سياسات التأميم المفروضة من أعلى، ومن سياسات الخوصصة والتدبير المفوّض. وفي الوقت نفسه، أتاحت هذه السياسات العامة فرصاً وموارد جديدة لبعض الأمازيغ ليُظهروا، بشكل فردي، قدراتهم الخاصة، بل إن بعض النجاحات الفردية بلغت حدّ إحداث تحولات على مستوى قيم المجموعات الأمازيغية.

وقد ركزت أعمال عديدة على زهد بعض التجمعات الأمازيغية، وهو ما مكّنها من بناء أعمال تجارية مزدهرة جعلت بعض الباحثين، أمثال إريك أدولف ألبرت (Erich Adolph Alport)<sup>10</sup> وجون واتربوري<sup>11</sup> (John Waterbury)<sup>12</sup> يشبهونها بالطوائف البروتستانتية التي لعبت، وفقاً لماكس فيبر (Max Weber)<sup>13</sup>، دوراً مهماً في تنمية روح الرأسمالية الحديثة. وفي الآونة الأخيرة، اقترح ليو پول دانا (Léo-Paul Dana) وروبرت ب. أندرسون (Robert B. Anderson) فرضية حول روح المقاول في المجموعات المحلية و"الأهلية" التي قد تعتمد على تصورات ثقافية لها خصوصيتها<sup>14</sup>.

وقد تناولت سبعة مقالات في هذا الملف قضايا لها صلة بهذه الأسئلة، حيث اهتم كلٌّ من يوسف يعقوبي ومحمد مهدي<sup>15</sup> بالسلوك الاقتصادي للتجار السوسيين في بعض مدن شمال

---

<sup>10</sup> Alport, E. A. (1954), « The Mzab », *The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland*, 84(1/2), p. 34-44; Alport E. A. (1964), « The Ammeln », *The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland*, 94(2), p. 160-171.

<sup>11</sup> واتربوري، جون (1972) (2020)، *الهجرة إلى الشمال: سيرة تاجر أمازيغي*، ترجمة عبد المجيد عزوزي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط.

<sup>12</sup> Waterbury J. (1972), *North for the trade: the life and times of a Berber merchant*, Berkeley, University of California Press.

<sup>13</sup> Weber M. (1904-1905) (1990), *L'éthique protestante et l'esprit du capitalisme*, (traduction de Jacques Chavy), Paris, Plon.

<sup>14</sup> Dana L-P. & Anderson R. B. (2007), *International handbook of research on indigenous entrepreneurship*, Cheltenham, Edward Elgar.

<sup>15</sup> De l'influence du contexte social sur le comportement économique. Cas des commerçants soussis dans les villes du nord du Maroc.

المغرب. ووضحا أن استكشاف معالم السياق الاجتماعي وإكراهاته تحدان خصائص هذا السلوك الاقتصادي منتقدين بذلك التفسير المعتمد على العامل الإثني فقط.

وحاول أحمد الغازي، من جهته، فهم تداخل المستوى الاقتصادي والاجتماعي والإثني في تنظيم تجارة تاكلايْت (بيع الفواكه الجافة) من خلال شبكة من المهنيين المنتمين إلى طاطا المستقرين بالرباط. فسلط الضوء على دور الثقة المتأصل في شبكة التبادلات بين الفاعلين المنتمين إلى نفس المنطقة ضمنا لاستدامة النظام الاقتصادي المرتبط بهذه المهنة.

وفي مقال بعنوان "روح المقاومة دعامة العودة إلى بلد المنشأ: التجار السوسيون في أكادير نموذجاً"<sup>16</sup>، عمل هشام جميض على فهم ديناميات المبادرة لدى المهاجرين المغاربة العائدين إلى "تمازيرت" من خلال الكشف عن استثمارهم في قطاع التجارة بمدينة أكادير.

واهتمت ثلاثة مقالات أخرى بتمكين المنتجات المحلية أو التراث الثقافي من طرف الفاعلين الأمازيغ. حيث درست أماندين كورميه (Amandine Cormier) وعلياء گانا<sup>17</sup> (Alia Gana) التعاونيات النسائية المنتجة لزيت أركان في منطقة سوس ماسة. وبيّنتا أن تمكين الموارد والمهارات والمعارف المتعلقة باستغلال شجرة أركان لا تساهم إلا بشكل جزئي جدا في النهوض بالوضعية الاجتماعية والاقتصادية للنساء القرويات. واقترحتا لمعالجة هذا الوضع ضرورة تقليص دور الوسطاء الذين يستحوذون على حصة كبيرة من القيمة المضافة. وفي مقال بعنوان: "الفسطان القبائلي: لباس أمازيغي بين التحدي الاقتصادي والهوياتي"<sup>18</sup>، توضح مليكة عصام كيف يُعدُّ "الفسطان القبائلي" ناقلا لمقومات الهوية الأمازيغية، منخرطا، في الوقت نفسه، بشكل تدريجي في اقتصاد السوق ليصبح وسيلة لتشجيع روح المقاومة.

وتتساءل آن مريم عبد الحق<sup>19</sup>، من جهتها عن التفاعل بين المهرجان والتنمية في سياق قروي أمازيغي انطلاقا من دراسة مهرجان تيفاوين بتافراوت (الأطلس الصغير)، ومهرجان أحيديوس في عين اللوح (الأطلس المتوسط). إذ أولت الباحثة أهمية خاصة للبعد الهوياتي، والرغبة في تنمية السكان لهذه المناطق المهمشة، وكذا تحولات أشكال الأداء الفني ودلالاته.

<sup>16</sup> L'entreprenariat comme un levier de retour au pays d'origine : le cas des commerçants Soussis à Agadir.

<sup>17</sup> Les coopératives de production de l'huile d'argan : une valorisation des patrimoines amazighs au service des femmes rurales du Souss-Massa ?

<sup>18</sup> La robe kabyle : un vêtement amazigh entre enjeux économiques et identitaires.

<sup>19</sup> Festival musical et développement en régions amazighes : les cas du Festival Tifawin et du Festival national d'ahidous.

أدى التفكير في أنماط حياة الأمازيغ إلى ظهور عدد كبير من الأعمال التي تمحورت حول اقتصاد هذه التجمعات. وقد أشار معظمها إلى الأهمية الاستراتيجية للتحكم في الموارد وتنظيمها، خاصة الأراضي والمياه. إذ تلعب هذه الأخيرة دوراً حاسماً في الاستقرار والعيش داخل تجمعات بشرية، بل وفي بروز منافس على السلطة السياسية والاقتصادية. ولقد أدى التحول الذي طرأ على نظام ملكية الموارد وتنظيمها من قبل الدولة الوطنية، طوال القرن العشرين، وكذا تجارب التأميم وخصوصة الأراضي في بلدان شمال إفريقيا، إلى زعزعة ممارسات التجمعات الأمازيغية في موضوع تدبير الموارد الطبيعية.

وفي موضوع التحولات التي مسّت الممارسات المتصلة بالرعي وتربية الماشية باعتبارهما وجهين من أوجه النشاط الاقتصادي والاجتماعي للأمازيغ، يحاول الباحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية الأستاذ محمد مهدي، من خلال حوار هذا الملف، أن يقدم تصوّر للتحولات التي أثرت، على مدى طويل، على البنيات الاجتماعية والاقتصادية للقرويين المستقرين من قبائل إرگيڠن، وتلك التي مسّت وضع الرعاة المتجولين من قبائل غيغايا-أوريكا في أوكامدن. وفي السياق نفسه، اهتم أبو القاسم الخطير بوصف الممارسات الإنتاجية في وادٍ بالأطلس الصغير. حيث درس، على وجه الخصوص، تنظيم تربية الماشية والإجراءات الدقيقة المعتمدة في تقاسم المياه الجماعية، بالإضافة إلى التحولات التي عرفتها هذه الممارسات المتوارثة عن الأسلاف.

وأخيراً، أوضح المحفوظ أسميري ومبارك آيت عدي، في مقالهما المخصص للمخازن الجماعية (إكودار)، أهمية الأنشطة التجارية والحرفية التي شهدتها مباني المخازن الجماعية بالأطلس الصغير.

وفي الأخير، يسعد إدارة مجلة **أسيناڠ** وهيئة تحريرها أن تتقدم بجزيل الشكر لكل من ساهم في إعداد هذا العدد، قراءةً وتقويماً لمواده: عبد القادر بزازي<sup>20</sup>، ومبارك آيت عدي، وفؤاد

---

<sup>20</sup> ينتمي عبد القادر بزازي، الذي رحل عنا يوم 20 فبراير 2022، إلى بلدة تافوغالت بآيث زيناسن شرق المغرب حيث رأى النور سنة 1959. بعد أن أمّ تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه، انتقل إلى وحدة لمواصلة مسيرته التحصيلية بثانوية عبد المومن. وفي 1986 ناقش أطروحة الدكتوراه بمدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية (EHESS) بباريس حول الحكايات الشعبية الشفوية بأمازيغية المغرب الشرقي. بعد ذلك التحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة أستاذاً باحثاً، وفيها حصل على دكتوراه الدولة سنة 1994 بموضوع عنوانه:

« Etude d'un corps de contes au Maroc oriental, lexique, configurations et énonciation ».

خلف الفقيد مقالات كثيرة عن التمثلات الهوياتية، والرواية الشفوية، وسيميائية الثقافات. كما تقلد مناصب مسؤولية مختلفة، منها أنه كان نائب عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، كما كان عضواً في لجن علمية متعددة من بينها

أرزوال، ومحمد أيت حمزة، وعبد القادر ايت لغازي، وفاظمة أيت موس، ورشيد بن بيه،  
وقسطيني بن محمد، وأحمد السكونتي، ومصطفى العادك، ومحمد العوان، وإبراهيم الفسكاوي،  
وسعيد بوجروف، وليو دانا، وكريمة ديرش، وليسا روسنبوك، وعبد الكريم ساعة، وحسن  
ضايض، وسعاد عزيزي، وزكرياء غاني، ومحمد فاضل، وزكرياء قادري، وإبراهيم لباري، ومحمد  
لزهر، ومحمد مهدي، وبديهة نحاس، وجون واتربروري.

أسيناگ-٢٠١٥/٥